# استراتيجية التلقي في "كتاب المآخذ على شُراح ديوان أبي الطيب المتنبي" لابن معقل
# المآخذ على شرح ابن جني أنموذجا.

**أ.راوية يحياوي**

**جامعة تيزي وزو**

إنّنا أمام التّراث بكلّ حمولاته، ونظرية القراءة بكلّ جاذبيتها. فتشتغل الدراسة على قطبين: قطب التّراث المتمثل في شروح ديوان المتنبي والمآخذ عليه، وبالتحديد كتاب المآخذ على شُراح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العباس أحمد بن عليّ بن معقل الأزدي المُهلبيّ/ الجزء الأوّل: المآخذ على شرح ابن جنّي الموسوم بالفسُر وقطب نظرية القراءة، بما يحوي من أجهزة مفاهيمية وأفكار ومصطلحات.

وهدفنا المنشود من وصل القطبين، هو إعادة قراءة التراث وتحديثه، بوصله بالقضايا المعاصرة.

تعرّضنا في هذه الدراسة إلى الانفتاح الدّلالي وسلطة النص في ديوان المتنبي، ثم تتبعنا الأجهزة المفاهيمية والمنظومة المصطلحية الواردة في الكتاب، وبعدها حللنا الاستراتيجيات المعتمدة في التفسير، وبيّنا من خلالها كفاءات القارئ، لنضيء في الأخير كيف كانت الشروح القديمة، وهل تجاوزت الشرح؟

**المدخل: الانفتاح الدّلالي، وسلطة النّص في ديوان المتنبي.**

قال المتنبيّ مالئ الدّنيا وشاغل الناس[1]:

أنامُ ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرّاها ويختصم.

يفتح هذا البيت أساسيات نظرية القراءة، فمن خلال الفعل "أنام" يعلن الشاعر غياب المؤلف، الذي هو "موت المؤلف" عند رولان بارت (Roland Barthes)، والذي تصحبه "سلطة النص"، لأن "الخلق يسهر جرّاها ويختصم"، فهذه نبوءة من الشاعر نفسه، على أن ديوانه يبقى قبلة العلماء والمفسرين والشراح، يقول ابن خلكان: ((واعتنى

العلماء بديوانه فشرحوه وقال لي أحد المشايخ الذين أخذت عنهم: وقفت على أكثر من أربعين شرحا ما بين مطوّلات ومختصرات ولم يفعل هذا بديوان غيره، ولا شك أنه كان رجلا مسعودا، ورزق في شعره السعادة التّامة))[2]. ومن بين تلك الشروح: شرح ابن جنيّ وشرح أبي العلاء المعرّي وشرح الواحدي وشرح التبريزي وشرح الكندي. وما هذه الشروح الكثيرة إلا دليل على سلطة النص في ديوان الشاعر وانفتاحه الدّلالي، حيث ((لا يشتغل النص إذا إلاّ حين / حيث ينفتح دلاليا، أي لما يكون، بتعبيره "مكتبنا" (Scriptible)، فيمنح نفسه للقارئ من منافذ متعدّدة، دون أن يكون ثمة باب رئيس تفضي إليه. فالنص المكتبن جسده))[3] ثم لا نغفل عن أهمية النصوص الشعرية في الثقافة العربية القديمة، فسلطتها أيضا متأتية من كونها ديوان العرب. فاهتم العلماء العرب بها كثيرا حفظا وشرحا ورواية.

لقد لفتت انتباهنا الشروحات الكثيرة لديوان واحد، وعدّها بعض العلماء مدوّنة لدراساتهم، ككتاب المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، للعالم ابن معقل الأزدي، الذي سندرسه، وما كثرة الشروح لهذا الديوان إلا دليل ((تنوع المعاني التي يضعها كلّ شارح للقصيدة ذاتها، ففي الوقت الذي يرى فيه أحد الشارحين معنى ما في بيت من الأبيات، أو في قصيدة من القصائد، يتجه ذهن شارح آخر للنص نفسه وجهة أخرى تباين الاتجاه الذي ذهب إليه ذهن الشارح السابق، مع أنّ النص هو ذاته...))[4] يبدو أن سلطة النص تعني سلطة القراءة، فسلطة ديوان المتنبي بخصوبته تتطلب سلطة قراءات وشروح كثيرة. وعلينا أن ننتبه إلى أنه ((إذا كان الموقع الفعلي للعمل يقع بين النص والقارئ فمن الواضح أن تحقيقه هو نتيجة للتفاعل بين الاثنين..))[5]. وكأن ابن المعقل يبحث في هذا الموقع الفعلي لنصوص المتنبي الذي هو بين النص وشراحه. فـ ((ينبّه إلى ما أغفلوه، ويهدي إلى ما أضلوه ويبين ما جهلوه...))[6] ويمكننا أن نعدّ تلك الشروح صورة تقليدية، للجانب التطبيقي في نظرية التلقي العربية، مع التنويه إلى أن العلماء القدماء لم يكن لهم سابق معرفة بحيثيات النظرية، فقد مارسوا أبجدياتها الأولى دون معرفة أو خبرة. فالقارئ والشارح للنص الشعري يعتمد على ذوقه ودرجات فهمه، مستندا إلى عدته اللغوية والثقافية. إن الشارح "متلق" بمفهوم نظرية القراءة والتلقي، أو "مؤوّل"

بمفهوم الهرمينيوطيقا التي تبحث في علاقة المفسر بالنص، بحثا عن المعنى الخفي في دهاليزه. إن عملية الشرح شبيهة بالتأويل في مفهومه البسيط، إلا أنه شرح يطارد المعنى المقصود من الشاعر. فهي فاعلية قرائية للقصد. وأن كل شرح يحاول القبض على أسطورة المعنى النهائي. إن النصوص الشعرية للمتنبي هي مجال للتأويلات المحتملة ولشروح متقاربة ومتباعدة بحسب ثقافة الشارح. فعل التأويل يشتغل على المغزى، وفعل الشرح يشتغل على المعنى. ولا نغفل أن ((التأويل كان يدل في المرحلة الأولى على التفسير والبيان أي التركيز على المعنى اللغوي للمصطلح وقد كانت العرب في معاجمها تعرّف التفسير بأنه البيان والكشف والإظهار. لا فرق إذا عند السلف الأوائل بين التأويل والتفسير..))[7]. إن أهمية تلك التفاسير والشروح للنصوص الشعرية، تتجلى في أنها تأريخ للتأويل عند العرب.

عندما اختلفت الشروح بشأن شعر المتنبي، أثارت نقطة الاختلاف جدل الشراح وأدخلتهم في إشكالات عدّة لـ ((أنه رجل الاختلاف والشوارد والخصومات لأنه صاحب نص مختلف ومفتوح..))[8] . ولم تنتج نصوص المتنبي شروحا فحسب، بل أنتجت مأخذا على الشّروح. فلقد شرح ديوان المتنبي عدد من الشراح من بينهم "ابن جني" وآخذه ورَدّ عليه العديد من النقاد، كابن فورجة 455هـ، بكتابيه: "التجني على ابن جني" و"الفتح على أبي الفتح". ورَدّ عليه الوحيد أبو طالب سعد بن محمد الأزدي البغدادي، الذي عاصر المتنبي في مصر. كما ردّ عليه وآخذه أبو القاسم الأصفهاني صاحب كتاب "الواضح في مشكلات شعر المتنبي" وابن معقل بكتابه الذي نحن بصدد قراءته.

**1- الأجهزة المفاهيمية والمنظومة المصطلحية:** إنّ فاعلية الشرح هي صفقة خطيرة، بين كفاءة الشارح، الذي يمثل عالما معرفيا، ونوع الكفاءة التي يقترحها نص ما. وتستند هذه الكفاءة إلى أجهزة مفاهيمية ومنظومة مصطلحية قد تكون خاصة بالشّارح، أو تكون مشتركة وداخلة في المنظومة النقدية الجماعية. وبما أننا الشرح قراءة وتأويل، فما عدتها المفاهيمية؟ وما مصطلحاتها؟

مبدئيا ننوّه إلى أن الشرح قراءة تعتمد الذوق، الذي يستند إلى خبرات لغوية وبلاغية وفكرية للشارح. ولكنه قراءة ماذا؟ إنه قراءة لمعنى النص. وكثيرا ما وردت هذه

الكلمة في كتاب المآخذ كأن يقول:((أقول أن هذه الذي ذكره ليس شيء! والمعنى انه أراد...))[9]. وكأن الشارح يطارد المعنى، ليقبض عليه، ويقول في موقع آخر عن شرح ابن جني: ((إنه لم يفهم معنى البيتين (...) ومعنى البيت الأول...))[10] وكأن الشارح يفاضل بين شرحه وشرح ابن جني، ويرى في شرحه الصواب ويغلّط ابن جني. فيقدم القراءة البديلة، كما في قوله أيضا: ((إن قوله: (..) خطأ، وإنما يريد...))[11]. حفل الكتاب بالعبارات التي تحيل على مركزية "المعنى". إن الشروح كلها تحاول القبض عليه. فكلّ شرح يعتقد الصوّاب، كما في شرح ابن معقل الذي يخطئ ويصوّب: ((لا شيء في التراث العربي إلا وهو عالق بمعنى مقصود، فلا وجود لمنظومة معرفية، أصولية كانت أو كلامية أو تفسيرية إلا ضمن مفهوم المعنى...))[12]. ويمكننا أن نجمع معظم العبارات الواردة في الكتاب، التي تحيل على مركزية المعنى في الشرح:

| العبـــارة | الصّفحة |
|---|---|
| – إنّ هذه الذي فسّره وجه صالح | 12 |
| – هذا وجه حسن، وثمّ وجه آخر قد ذكره غيره. | 13 |
| – إن تفسيره البيت صواب | 17 |
| – (.....) والمعنى... | 18 |
| – إنّ هذا الذي ذكره ليس بشيء! والمعنى أنّه... | 21 |
| – إنه لم يرد.....و لكن أراد..... | 25 |
| – إنه لم يفهم معنى البيتين ولا...معنى البيت... | 26 |
| – أحسن من هذا أن يكون..... | 27 |
| – هذا ليس بشيء! والمعنى..... | 30 |
| – هذا ليس بشيء! وإنّما..... | 31 |
| – والمعنى أنّ | 32 |
| – هذا بضد شرحه لقوله:..... | 36 |
| – هذا المعنى الظاهر، وقد قال غيره:..... | 37 |
| – ليس في كلامه ما يدل.....و إنما....و هذا هو المعنى... | 41-42 |
| – الاستعارة حسنة، ولكنه لم يفهم معنى البيت ومعناه:.... | 42 |
| – إنه لم يفهم المعنى ولا تنبه إليه أحد...و التقدير... | 43 |
| – وكأنه أراد بقوله:.... | 45<br>48 |

| | |
|---|---|
| 48 | – الذي قال ليس بشيء! وإنما هو |
| 50 | – إن قوله: .....خطأ، وإنما يريد... |
| 52 | – لم يفهم المعنى وهو:..... |
| 52 | – ليس في اللفظ ما يدل على ما ذكره من.... |
| 55 | – هذه عبارة ليست بتلك الجيدة...و لو قال.... لكان أجود |
| 56 | – هذا الذي ذكره ليس بشيء! والمعنى:... |
| 57 | – الجيد لو قال..... |
| 62 | – لم يفهم معنى هذا البيت، ولا فهمه أحد ممن جاء بعده! ومعناه... |
| 64 | – لم يرد ذلك، وليس بين البيتين شابه كيف يقول... إنما المعنى |
| 65 | – إن تأويله، وصرف الكلام عن ظاهره هو الواجب |
| | – إن هذا الذي ذكره ليس فيه طائل، ولا له معنى سائغ وقد كثر الاختلاف في تفسير هذا البيت والأظهر فيه... |
| 87 | – ذلك قبيح... |
| 90 | – الصواب... |
| 92 | – إنّ هذه العبارة غير مرضية في تفسير هذا المعنى المرضي! |
| 94 | – إن هذه العبارة ليست بحسنة... |
| 105 | – إنه فهم المعنى مقلوبا |
| 105 | – إنه فسر النصف الأول ولم يفسر الثاني... |
| 113 | – فسر عجز البيت، وعجز أن يفسر صدره. |
| 126 | – هذا التأويل... |
| | – إن ابن جني طبعه تكثير الكلام، وغرضه تكبير الكتاب، فما يبالي بعد ذلك أخطأ أم أصاب... |
| 127 | – ليس في كلام أبي الطيب ما يدل....لا ظاهرا ولا باطنا... |
| 128 | – إن هذه العبارة سيئة! |
| 134 | – لو قال....لكان أولى وأسلم. |
| 134 | – لم يذكر معنى هذا البيت أيضا. |
| 132 | – تأمّل –هداك الله–هذه الخرافة المتناقضة التي ينقض آخرها أولها! |
| 135 | – الأحسن ما قاله ابن جني.... |
| 165 | – يحتمل هذا البيت معنيين |
| 166 | – يجوز أن يكون...و يكون...و هو أبلغ من... |
| 171 | – لا يحسن هاهنا ذكر... |
| 176 | – الصحيح.... |
| 181 | – الصواب أن يقول.... |
| 183 | |
| 193 | |
| 196 | |
| 199 | |
| | |
| 200 | |
| 213 | |
| 217 | |
| 217 | |
| 219 | |
| 221 | |
| 221 | |
| 227 | |
| 228 | |

| | |
|---|---|
| – إنّ قوله.... تفسير لا يقوله أحد.... | |
| – أما تفسيرك البيت فحسن...أما تمثيلك له بقول..فليس بحسن. | 256 |
| – إن لك أن لا تصيب، وعليك أن تخطئ نادرا! وهذا الذي قلته لا يقوله محصل وأدنى متأمل! | 260<br>298 |
| – الجيد أن يقال.... | 299 |
| – كلاهما أخطأ المعنى.. | 302<br>.307 |
| – هذا غير معروف ولم يجئ في اللغة... | |
| – هذه استعارة ومجاز... | |
| – هذه سفسطة! | |
| – هذا تمثيل غير صحيح! أما بيت.... | |
| – فتفسيره البيت الذي يليه.... | |
| – هذا غير لازم.... | |
| – أنظروا هداكم الله– ...وذكره لهذين الوجهين القبيحين اللّذين لم يصدرا إلا عن قبح فهم، وخبْط في ظُلَم الشك ورجم...والمعنى.... | |
| – هذا غير صحيح بل... | |
| – إن هذا البيت فيه معنى شريف لم يطّلع عليه أحدٌ من شراح الديوان، وقد خبطوا فيه خبطا كثيرا والصحيح... | |
| – هذا تفسير يقعقع، يُجهّل ذاكره وينادي بعمى قلبه! وإنما... | |
| – لعل ابن جني توهم قوله.. | |
| – هذا التفسير قد تلقاه عنه جميع من شرح هذا الديوان بعده، وليس بشيء! والمعنى: .... | |
| – ما كان أغناك عن التعرض لشرح معاني الشعر، وأنت فيها بهذه المنزلة، وأحوج هذا الديوان إلى غيرك!..لقد أخطأت سبيل هذا المعنى وتجاوزت طريقه، فأنت في واد وهو في واد. | |

يقرأ ابن معقل شرح ابن جني محتكما إلى قصد الشاعر. ومعتقدا أن المعنى في بطن الشاعر والشرح في ذهنه هو. والصواب عنده هو. لذا فهو يصدر أحكام قيمة "هذا وجه صالح"، "هذا وجه حسن"، "إن تفسيره صواب"، "ذلك قبيح"، "إن هذه العبارة سيئة"، "هذه سفسطة"، "هذا غير صحيح" الخ... كما يصحح ما اعتقده خطأً، كأن يقول:"إن هذا الذي ذكره ليس بشيء! والمعنى...." و"إنه لم يفهم معنى البيتين ولا ... ومعنى البيت..."" وهذا ليس بشيء! والمعنى..." و"إن قوله...خطأ إنما يريد.." و"لم يفهم المعنى" و" إنه فهم المعنى مقلوبا" و"إن هذا البيت فيه معنى شريف لم يطلع عليه أحد من شراح الديوان... والصحيح...".

إن سلطة النص واردة في معناه، وفي قصد الشاعر–حسب الشراح– أما سلطة الشرح، فهي سلطة تطويق ذلك المعنى. فكلما وُفّق الشارح في الوصول إليه كان الصواب، كأن يقول:" إن تفسيره البيت صواب" وكلما ضل الشارح عن المعنى فسد الشرح، لذا تحامل ابن معقل على ابن جني، لأن ضلال المعنى خطيرة في الشرح، كأن يقول: ((ذكره لهذين الوجهين القبيحين اللذين لم يصدرا إلا عن قبح فهم، وخبط في ظلم الشك ورجم..)) و((هذا تفسير يقعقع، يجهل ذاكرة وينادي بعمى قلبه)) وبلغت به ذروة التحامل، إلى أن يُقصي "ابن جني" من الشراح القادرين: ((أحوج هذا الديوان إلى غيرك!...لقد أخطأت سبيل هذا المعنى وتجاوزت طريقه، فأنت في واد وهو في واد)).

إن الجهاز المفهومي" "المعنى" أساس ومركزي في المنظومة النقدية العربية التراثية، والمعنى معان وليس أحاديا، لأنه يحوي المعنى الظاهري والمعنى الباطني. ويتفاوت الشراح بكفاءاتهم في القبض على المعنى الباطني. وكثيرا ما كان ابن معقل يؤاخذ ابن جني على) فهمه ظاهر المعنى فقط[13] . ويرى أن الشرح كفاءة تأويلية، كأن يقول:((إن تأويله وصرف الكلام عن ظاهره هو الواجب.))[14]. العجيب في هذا الكتاب، هو أن كل شارح يعتقد إصابته المعنى، فابن جني يقول: ((ومعنى البيت:...))[15]. وكأنه يملك المعنى النهائي، ويقبض على قصد الشاعر. وابن معقل يقول بخطأ هذا الشرح في مواقع كثيرة، ويقول بمعاني الأبيات النهائية. ويمكننا أن نطرح السؤال بهذه الصيغة هل يُكوّن الشراح المعنى؟ بالصيغة نفسها، التي طرح روبرت كروسمان سؤاله: ((هل يُكوّن القراء المعنى؟))[16] إذا كان الشعراء والمؤلفون يُكوّنون المعنى من خلال نصوصهم، فالشراح يعمدون إلى الشرح، وكل شارح يملك إستراتيجيته وعدته في العملية، ويعتقد في مسعاه الصواب. كما أكد الكتاب أن "عند ابن معقل المعنى اليقين"، مثلما عند "جهينة الخبر اليقين". ومساعيه هي تُخطّئ شرح الآخرين، وتؤكد صواب شرحه. لأن النصوص الشعرية– في اعتقاده– تعني شيئا ما، وشروحه تحتمل معاني كامنة في هذه النصوص. فالشارح ضروري لإنتاج المعنى[17] وما لا يمكن أن نغفل عنه هو أن النص ينتفي عند المعنى الأحادي، ما دامت القراءات والتأويلات كثيرة وغير منتهية، فنسلّم بفكرة تعدد المعاني. ولابد أن نشير إلى خطورة الاعتقاد بأحادية المعنى في النص، لأنها

ستقول بأحادية القراءة. وهذا ما يجر إلى العداء بين القراء، فكل قارئ سيعتقد أن الصواب عنده. مثلما نعثر عند ابن معقل على عبارات جارحة، يصف بها زلل ابن جني، كأن يقول: "هذا تفسير يقعقع، يُجهّل ذاكره" و"لعل ابن جني توهّم.." و"لم يصدرا إلا عن قبح فهم..". وتبلغ درجة العداء ذروتها، عندما يُصوّب الشارح شرحه، ويُخطّئ الآخرين بالجملة، كأن يقول ابن معقل: "إنه لم يفهم المعنى ولا تنبه إليه أحد" و"لم يفهم معنى هذا البيت ولا فهمه أحد ممّن جاء بعده"و إنّ هذا البيت فيه معنى شريف لم يطلع عليه أحد من شراح الديوان، وقد خبطوا فيه خبطا كثيرا والصحيح.." و"هذا التفسير قد تلقاه عنه جميع من شرح هذا الديوان بعده، وليس بشيء! والمعنى..". إن المعنى الأحادي يتطلب قارئا أحاديا، وينتهي النص، وهذا يكرّس ثقافة إقصاء القراء وانغلاق النص، بينما المعاني المتعددة للنص، تفتح القراءة ويتكاثر القراء. فالمعنى غير نهائي، وقصد المؤلف مفتوح، وفي ((هذا السياق، لا يبدو الأمل بأحادية معنى النصوص الأدبية ساذجا حسب، وإنما مضلل، فمن أجل أن نشبع الحاجات المختلفة ورغبات القراء المختلفين، ينبغي أن يكون للنصوص معانٍ متعددة...))[18]، يكون إنتاج المعنى مشاركة بين النص والقارئ. وكأن المعنى هو الذي يطلب من القارئ تكوينه. وتنبّه "إيزرْ"، "WOLFGANG- ISER" في حديثه مع نبيلة إبراهيم إلى أنّ هناك مرحلتين في عملية القراءة: ((مرحلة استجماع المعنى، ومرحلة الدلالة التي تمثل الاستيعاب الايجابي للمعنى بواسطة القارئ، أعني عندما يؤثر المعنى في وجود القارئ))[19] فكلتا المرحلتين مشاركة بين النص والقارئ، سواء الاستجماع أو الاستيعاب. ويمكننا أن نعدّ عملية الشرح أيضا تمرّ بهاتين المرحلتين. وننوّه إلى أن كلّ شرح، يستند إلى منظومة مصطلحية مرتبطة بكفاءة الشارح، وبالمرجعيات الفكرية له، ف((عندما ينتج نص ما لمجتمع من القراء وليس لمرسل إليه مفرد، فإن المؤلف يعرف (أنه/أنها) سوف يفسر، ليس وفقا لمقاصده (ها)، وإنما وفقا لإستراتيجية معقدة من التفاعلات، التي تتضمن القراء كذلك، بالإضافة إلى كفاءتهم اللغوية بوصفهم خزانة اجتماعية. ومَا اعنيه ب (خزانة اجتماعية) (...) الموسوعة الكاملة التي حققتها أداءات هذه اللغة. ويطلق عليها "التقاليد الثقافية" التي أنتجتها هذه اللغة وتاريخ التفسيرات السابقة...))[20] فعندما يتوجه ابن معقل لقراءة شرح

ابن جني، يتحرك بعدّة شاعر وعالم وناقد. إنّه ((أديب نحويٌّ ناقدٌ عروضي شاعرٌ!))[21]، واستندت المنظومة المصطلحية عنده إلى هذه العلوم المختلفة، التي كانت في عصر الشارح، وأسست لأفق التوقعات. وهو أفق "التقاليد" و"المؤسسات" المشتركة[22]، التي خضع لها المؤلف ولا يمكنه الخروج عليها، كما خضع لها الشارح، ولا يمكنه أيضا الخروج عن مثل المؤسسة العلمية التي تحوي جميع علوم العصر من نحو وعروض وبلاغة والمؤسسة الأدبية التي أسست للتوجه النقدي، والمؤسسة الاجتماعية ((التي تقبل أو ترفض من المعاني ما يناسب العرف والمألوف أو لا يناسبه))[23]

ويمكننا أن نقول إن عُدة المنظومة المصطلحية لابن معقل، أتت من هذه "المؤسسات" فنعثر في شرحه على **مصطلحات النحو ومصطلحات العروض ومصطلحات البلاغة ومصطلحات الفلسفة ومصطلحات النقد**، كما في هذا الجدول:

| مصطلحات النحو والصرف | مصطلحات العروض | مصطلحات البلاغة | مصطلحات النقد |
|---|---|---|---|
| – الوصف بالمصدر أبلغ من الوصف باسم الفاعل، ص14.<br>–اسم الفاعل ص29.<br>– الجار والمجرور، ص30<br>–حذف الهمزة ص34<br>– الجملة ص45.<br>–العائد، الاسم ص73.<br>– المبتدأ ص73.<br>– الضمير، ص82.<br>– الإعراب ص93<br>– العامل في الجار والمجرور ص94 | –الأبيات والشواهد وردت ببحورها مثل: قوله [الطويل] ص92.<br>– التقفية ص97<br>– إيطاء ص97<br>–صدر البيت عجزه ص103<br>–عجز البيت صدره ص113<br>– القافية ص123<br>– الضرورة في الشعر ص126<br>– الرّدف ص129<br>– المصرَّع، العروض، الضرب، وزنا وتقفية ص158<br>– التشعيث، صدر البيت ص159 | –الصورة ص14.<br>–المبالغة ص14– ص27،ص67، ص71، ص111، ص253، ص264، ص148، ص230 أبلغ ص14<br>–المجاز ص18–278– 305–275–46<br>–المجاز والاستعارة | – وجه صالح ص12.<br>– التفسير ص12<br>– وجه حسن ص13.<br>– أحسن في الذوق وأعذب في السمع ص14.<br>– أبلغ ص14<br>– صناعة من الشاعر ص39<br>– أفصح كلام وأحسن استعارة ص48<br>– لكان أجود ص33<br>– أحسن معنى ص61<br>– تأويله وصرف الكلام عن ظاهره ص64<br>– أحسن في الاستعارة ص73<br>– يطوي المديح على الهجاء ص75<br>– أقصر وزنا وأظهر مبنى وأقل كلفة، ص 102. |

ما يلاحظ على هذه المصطلحات دقتها، لأنها نتاج العصر بعلومه: النحو والصرف والعروض والبلاغة، وهي شائعة في الدرس الأدبي العربي. وهنا نشير إلى أن ابن معقل ولد 567 هـ،[24]. وهو عصر عرف نضجا علميا، وشهد التحولات في الخطاب البلاغي والنقدي واللغوي والأدبي. مع أن المصطلحات لها تاريخها، ومرت بغموض الدلالة والتغير ((بسبب الازدواج فيها وتعدد البيئات المشاركة في استخدامها، ثم تباين مواقف النقاد وارتباطهم بالشعراء على اختلاف منازعهم...))[25]. فلو نتتبع على سبيل المثال مصطلح "المجاز" في النقد التراثي في القرن الرابع للهجرة، سنعثر على التغير الدلالي الذي صحبه[26] إلا أن ابن معقل استخدمه في الصفحات 18-46-275-278 بدلالة دقيقة وهو ((صرف الكلام عن ظاهره))[27]. وهذا ما يعرف بالمجاز العقلي. والفضل في هذه الدقة يعود إلى عصر ابن معقل لأن: ((البلاغة العربية ليست واحدة وأن ثمة بلاغة بيانية انتهت حتى بداية القرن الرابع الهجري، وأخرى معنوية انتهت منتصف القرن السادس الهجري)) [28]. شهد ابن معقل نتائج هذه المراحل. أما مصطلحات علم العروض فقد حددها الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الرابع للهجرة، فوظفها ابن معقل بدقتها: الطويل، ايطاء، صدر البيت وعجزه، الردف، الضرب والعروض، القطع والتشعيت...

أما مصطلحات النحو والصرف فهي دقيقة. وقد حددها علماء اللغة، ووظفها ابن معقل في إطارها، لأنها تدخل في المشترك ((فالتفكير بواسطة ثقافة ما معناه التفكير من خلال منظومة مرجعية تشكل إحداثياتها الأساسية من محدّدات هذه الثقافة ومكوناتها وفي مقدمتها الموروث الثقافي والمحيط الاجتماعي والنظرة إلى (...) العالم إلى الكون والإنسان كما تحددها مكونات تلك الثقافة...))[29]. وحتىّ خارج المصطلح يلّح ابن معقل على المشترك الدّلالي، فلا يمكن للشاعر أن يبتدع ما لم يتفق عليه. وفعليه أن يشتغل داخله. وإذا ما التفتنا إلى المصطلحات النقدية، نجد غلبة الذوق عليها وافتقارها إلى الدلالة الدقيقة، كأن يقول: أحسن في الذوق وأعذب في السمع ص14 وعبارة ضعيفة ص268 وسوء فهم ونقص علم ص282 للهجرة وقد وردت بعض العبارات كثيرا في الكتب النقدية في القرنين الرابع والخامس للهجرة، كقوله: إتقان صناعة وحكام صياغة ص145، كان أجود ص33 معنى شريف ص260 أقصر وزنا وأظهر مبنى ص102...

وعى ابن معقل مجموعة من المصطلحات كمصطلح التأويل، الذي قال عنه ((هو قراءة الباطن لا "الظاهر" بقوله إن تأويله وصرف الكلام عن ظاهره هو الواجب))[30]. كما وعى بعض المصطلحات الفلسفية في تحليله لمعنى البيت كقوله: ((هذه قضية عقلية من مقدمتين ونتيجة: المقدمة الأولى: (...) والثانية: (...) والنتيجة: (...).))[31]. معتمدا المنطق الرياضي والاستدلال العلمي.

**2- استراتيجيات التفسير وكفاءات القارئ:** إن ديوان المتنبي من "الأثر الأدبي المفتوح"[32] بتعبير الناقد الايطالي أمبرطو ايكو (UMBERTO ECO). فقد كثرت شروحه وما استطاعت أن تقدم التأويل النهائي، لأنه ديوان خصب يمنح فرصا للمؤوّل، لكي يقدم رؤيته الخاصة وسبيله التأويلي. كما يقدم له ((أفعال الحرية الواعية))[33] فيتحلى باستراتيجيات و((بمختلف الأدوات التي بها يواجه النص))[34]. وعندما توجّه ابن معقل إلى ديوان المتنبي، قرأ شروح الشراح، كما قرأ الديوان، ولكن ما الاستراتيجيات التي اعتمد عليها في شرحه؟ بتعبير آخر ما الجهات التي اعتمد عليها في نظرته إلى الديوان وشرحه، حتى يقنعنا أنّ شرحه أفضل من شرح ابن جني؟

إنّ أولى هذه الاستراتيجيات هي الإستراتيجية اللغوية المعجمية أو جهة اللغة. فقد لجأ ابن معقل إلى اللغة، كحجة يتكئ عليها في شرح المعاني. يذكر أولا بيت المتنبي، بعد تقديمه- في معظم الحالات- بجملة "وقوله" أو "قال" وبعدها يذكر شرح ابن جني، ثم يتبعه بجملة " وأقول" أو «فيقال له"، يتعرض إلى اجتهاده هو في الشرح مبديا مأخذه على الشارح. مثال ذلك:

سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها منعنا بها من جيئة وذهوب

قال: أي لو عاش من قبلنا لما أمكننا نحن المجيء والذهاب، لان الله تعالى بنى الدنيا على الكون والفساد، ولم يخصصها بأحدهما وليس ذلك في الحكمة.

وأقول: الظاهر أنه أراد: أي لو عاش أهل الدنيا فلا يموتون لامتلأت الأرض من الخلق فتعذرت الحركة عليها، المجيء والذهاب لكثرة الخلق

وفي هذا تسلية لسيف الدولة بكثرة من مات.))[35]، الملاحظ على ابن معقل أنه يستبدل شرحا بشرح على أساس الاقتراب من البيت. فكيف يستغل هذه الإستراتيجية؟

إن حدود الشرح اللغوي عند ابن معقل، مرتبطة بالمؤسسة اللغوية العربية، من أشعار وأخبار وأمثال إلى جانب القرآن الكريم. فإستراتيجيته اللغوية في قراءة الديوان تخضع لشرط لا يمكن الخروج عن صرامته، كما في هذه الترسيمة:

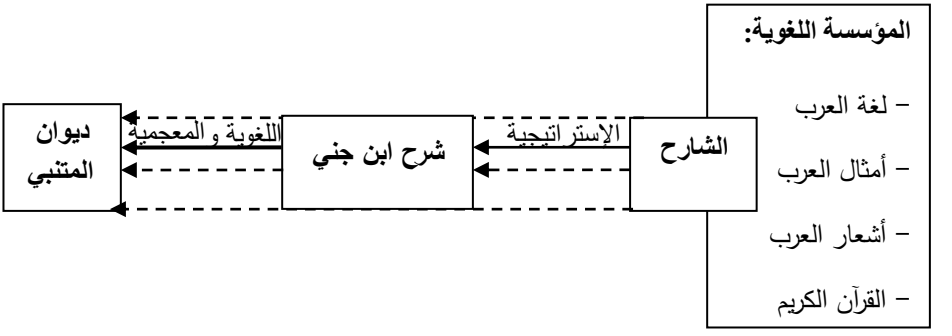


من خلال هذه الترسيمة تتشكل القراءة المؤطرة وفق التقاليد والأعراف، ويتشكل الشرح الخاضع للمؤسسة. وكأن الشارح يتحرك وفق أفق التوقع المشترك، الذي تأسّس، قبل النص وقبل الشارح نفسه. والأمثلة عن ذلك كثيرة في كتاب المآخذ كقوله:((هذا غير معروف، لم يجئ في اللغة...))[36] وقوله:((لم تستعملها العرب إلا في..))[37] وقوله أيضا ((فقد جاء عنهم كثيرا، من ذلك قول...))[38]

وكثيرا ما كان يشرح الأبيات، مستندا إلى أبيات أخرى تؤكد الدلالة نفسها. كشرحه لبيت المتنبي:

حملتُ إليه من لساني حديقـةً سقاها الحِجَى سقْيَ الرّياض السّحائب

((وأقول: إنّ اللسان يُحتمل أن يكون العضو الذي يتكلم به، وأن يكون الكلام نفسه كقول الحطيئة:

ندمتُ على لسانٍ كان منّي فليتَ بأنهُ في جوْف عِكْمِ))[39]

أو يعتمد القرآن الكريم، فيحيل على الآيات، كاعتماده بعض آيات سورة يوسف في شرحه البيت:

كأنّ كلّ سؤال في مسامعه قميص يوسف في أجفان يعقوب[40]

إنّ الشرح الذي يخضع للمؤسسات، فيه من السلبيات والإيجابيات. فهو يحدّ حرية الشارح، يجعل المتلقي يستوعب هذا الشرح الذي ينطلق من أفق النص التاريخي، وداخل

سياقه. ثمّ إن: ((القارئ الذي ينطلق من أفق زمانيته لا يعدو أن يكون امتدادا لآفاق تأويلية قدمت من ذلك الزمن، أدرك ذلك أو غاب عنه، فهي تدخل في إطار التقاليد القرائية للجماعة التأويلية التي ينتمي إليها...))[41]. لذا يمكننا أن نعدّ كتاب المآخذ كصورة عن شرح الدّواوين الشعرية في عصر ابن معقل. وقد تفرض المؤسسة نفسها، لدرجة محاكمة الشارح لشارح آخر: لِمَ لم يقل كذا وقال كذا. وتبين الإستراتيجية اللغوية المعجمية كفاءة الشارح في اللغة لدرجة أن يكون أكبر من النص. فيصحح ما يراه، كما في قول المتنبي:

أنت طُولَ الحياة للرُّوم غازٍ فمتَى الوعْدُ أن يكون القُفُولُ

فقال ابن معقل: ((وأقول: لو قال:

أنتَ غاز للرّوم في كلّ وقْتٍ سائرٌ والمسيرُ منكَ قفُولُ

لحسن اللفظ وسلم المعنى))[42] فهل يحقّ للشارح أن يغير البيت بحجة الأفضلية؟ وكأنّ الشارح يبني البيت من خلال كفاءته. ويمكننا أن نقرأ هذه الكفاءة وفق نظرة إيرز في مفهوم القراءة كمشاركة، حيث ((تبدأ متعة القارئ عندما يصبح هو نفسه منتجا. أي عندما يسمح النص له بأن يأخذ ملكاته الخاصة بعين الاعتبار...))[43]. إن عملية الإنتاج هذه لا تسعى إلى قراءة الدّلالة فحسب، بل تعمل على هدم النّص وإعادة بنائه وفق رؤية الشارح.

تتجلى كفاءة ابن معقل اللغوية عندما يؤاخذ ابن جني في فهمه لأبيات المتنبي **فهما مقلوبا**، ويصرّح بذلك ((وأقول: إنه فهم المعنى مقلوبا))[44] ويقدّم البيت، ثمّ يبين كيف فهم ابن جني المعنى مقلوبا. كما يؤاخذه على **الفهم الخاطئ**، فيقول له: ((ليس هذا المعنى، وإنما....))[45]، إنه يقدم له موقع الخطأ ثمّ يصحّح له. كما يؤاخذه على **الفهم الناقص**، بقوله: ((وأقول: فسّر عجز البيت، وعجز أن يفسر صدره...))[46] وما استنتاج القلب والخطأ والنقص، إلا من قدرات الشارح اللغوية.

تبيّن الإستراتيجية اللغوية المعجمية خبرات الشارح، التي منها خبرة العرض، والتي يتبعها الفصل وحكم القيمة، فيعرض إلى مختلف الشروح، ثمّ يفصل في الأدّل، كأن يقدم بيت المتنبي ثم يعرض أكثر من شرح لابن جني بقوله:((قال: معنى...إمّا.....وإمّا...))،

ويتبع هذا الشرح بالفصل والحكم: ((وأقول الصّحيح الوجه [الأوّل] والثاني ليس بشيء! والمعنى أنه...))[47]، ويعتمد الشارح على قدرة التمييز وجرأة الفصل. حتى عندما يعرض شرح ابن جني ويعارضه، يحكم بالإيجاب على البديل الذي اقترحه، كأن يقول: ((وهذا المعنى والتفسير لم أسبق إليه، ولا ثمّ معنى سواه))[48]. فهذا الحكم قد ينقل الإلمام بكلّ الشروح، كما ينقل جرأة الحكم.

يملك الشارح خبرة التفصيل في الشرح ليؤكد ما ذهب إليه، إما بأقوال العرب وأمثالهم السائرة أو بأشعارهم وبآيات قرآنية. كأن يقول: ((وأقول: إنّ هذا المعنى.....وهو.....قد جاء كثيرا في القرآن والشعر...))[49]. ويورد أمثلة على سبيل التأكيد والمصداقية. ويلجأ إلى خبرة التصحيح عندما يخطّئ ابن جني، فلا يكتفي بذكر الخطأ وإنما يعمد إلى التصحيح[50].

يستند ابن معقل في مآخذه، إلى **الإستراتيجية البلاغية** أو **جهة البلاغة** فيلجأ إلى علم البلاغة ليؤكد قدراته في الشرح. أما حدود استثماره لهذا العلم، فتعود إلى عمود الشعر العربي وإلى الذوق العربي، كأن يقول: ((إنّ الاستعارة ينبغي أن تكون مناسبة لما تستعارُ له..))[51] أليس هذا عنصر من عناصر عمود الشعر ((مناسبة المستعار منه للمستعار له))[52]!؟ إنه يعمد إلى استبدال الكلمات حتى يتناسب المستعار منه مع المستعار له.

إنّ حدود الشرح البلاغي عند ابن معقل مرتبطة بالذوق العربي وبعمود الشعر. وأنّ الشارح، وهو متوجّه إلى (شرح ابن جني) ثم (شرح الديوان)، مُطَوَّق بأعراف المؤسسة النقدية، ولا يمكنه الخروج منها. فعندما يستثمر الإستراتيجية البلاغية تحدّه الأعراف، كأن يقول وهو يجيب ابن جني: ((هذا الذي ذكرته استعارة والاستعارات لها مواضع تحسن فيها وتقبح...))[53]، وكأن التعاضد النصي بين النص وقارئه خاضع لتعالي المؤسسة البلاغية، ف((يكون القارئ معدّا لتأويل سلسلة كاملة من الأعجومات المركبة والتعبيرات المجمدة التي كان انتهى التقليد البلاغي إلى تدوينها..))[54]. فلا يمكن لهذا القارئ إلا الانصياع لما هو ثابت ومحدّد في المؤسسة البلاغية، التي تفرض حدودا

للتأويل البلاغي، ومؤسسة الذوق العربي، التي تستند إلى الاستعمال، حيث يكون الاستحسان على قدره. ففي شرحه لبيت المتنبي:

وأبْيضَ فَيّاضٍ يداهُ غمَامـةٌ عَلىَ مُعتفِيه ما تغِبُّ نوَافلِهْ

اعتمد الاستعمال العربي لكلمة البياض ((إنّ العربَ إذا وصفتْ الرجل بالبياض، مادحةً له، لم تُرد اللّون على الحقيقة، وإنّما تكني به عن وضوح شرف الممدوح وبيانه...))[55].

كما اعتمد في شرحه التشبيه على الاستعمال والعادة، نحو قوله في هذا البيت:

يجلّ عن التشبيه، لا الكفُّ لجَّةٌ ولا هُوَ ضرغامٌ ولا الرأيُ مخْدَمُ

((فهو أنه لما كان من عادة الكفّ أن تُشبّه باللجة، والشجاع أن يُشبّه بالضرغام، والرأي أن يُشبّه بالسيف، وأراد أن يمدح الممدوح بالكرم والشجاعة ومضاء الرّأي فضّله على هذه الأشياء الثلاثة...))[56].

وكان ابن معقل يحاسب ابن جني في شرحه، إذا خرج عن الذوق العربي. وكأنه يذكره بحدود الشرح– ففي قول المتنبي:

مُبرْقعي خيلُهم بالبيضِ قدْ جعلوا هام الكُماة على أرْماحِهِمْ عَذباَ

قال ابن جني يشرح البيت:((قد جعلوا مكان براقع خيلهم حديدا على وجوهها، ليقيها الحديد إن تؤُصّلَ إليها))[57] فأجابه ابن معقل مؤاخذا عليه:((كيف عبّر عن صفائح الحديد التي على وجوه الخيل بالبيض، وهذا استعمال لم يستعمله أحدٌ؟))[58] ثم شرح البيت، وفي هذا الاستفهام نفي وإنكار لما شرحه ابن جني، لأنه خروج على الاستعمال المعتاد. وكثيرا ما يؤكد شرحه للصّور استنادا إلى أقوال الشعراء الآخرين. وكأن الإبداع يكون بمقدار الانصياع للاستعمالات.

وما يلاحظ على جهود ابن معقل اجتهاده في استثماره للإستراتيجية البلاغية. فمع أنه يشتغل داخل منظومة الذوق العربي وعمود الشعر، إلا أنه حاول أن يجتهد ويظهر **كفاءة** وبراعة، لدرجة أن يكون أكبر من النص، فيطالبه بالتغيير. مثل قول المتنبي:

وكمْ منْ جبالٍ جُبْتُ تشهدُ أنّني الـ جِبالُ وبحْرٍ شاهدٍ أنّني البحْرُ

يحاول ابن معقل أن يغير في نسيج البيت: ((لو كان [قال]:

وكمْ منْ جبالٍ جُبْتُ تشهدُ أنّني أخُوها.....

لكان أقلّ كلفة، وأوقع تشبيها]...))[59].

فمع أن النص يمثل سلطة تختبر ذاتها، كما تختبر قراءها، إلا أن الشارح حاول اختراق هذه السلطة، وأكد أنّ ((النص إنما يبثّ إلى امرئ جدير بتفعيله...))[60]، لم يكتف بالتفعيل، وإنما عمد إلى التحوير. استبدل كلمة "الجبال" بكلمة "أخوها". اعتقادا منه أنها الأدل وأنها "الأوقع تشبيها".

كما فعّل **كفاءته البلاغية** في فرزه الإبداع داخل الصور. يبين سبق المتنبي وفرادته في بعض استعاراته، كأن يقول في بيته:

يُغادرُ كُلُّ مُلتفتٍ إليه و لبّتُه لثعْلبِه وجَارُ

((إنّ هذه استعارة حسنة، ما علمت أنه سُبق إليها... وذلك أنه لما ذكر الثعلب من الرمح جعل الطعنة في لبة الفارس وجارا...))[61]. وهنا خرج من صرامة المؤسسة البلاغية، التي ترسم حدود الصور. كما خرج من الذوق العربي الذي هو عرف، لابد من احترامه. وأطلق العنان للإبداع. كما في تحليلة للتشبيه في بيت المتنبي:

تشبيهُ جُودكَ بالأمطارِ غادية□ جودُ لكفّك ثانٍ ناله المطرُ

قال: ((المعنى أنك إذا جدت على إنسان بجود استكثره فشُبّه، لكثرته، بالمطر، وتشبيه بالمطر بعد جوده على الطالب جود ثان على المطر بأن تشبه به وهو أغزر منه. و**من عادة الأقلّ أن تشبه بالأكثر** ولا ينعكس فلماُ شبّه الأكثر بالأقل كان ذلك بمنزلة الجود عليه))[62]. وكان بإمكان الشارح أن يرفض هذا التشبيه، لأن مؤسسة "العادة" ترفضه، لكنه احتفى به، لأنه إبداع.

وكثيرا ما يُظهر الشارح كفاءته في مطالبته ابن جني الانتباه إلى المجاز، كأن يطالبه بالقراءة المؤولة، التي كثيرا ما يلّح عليها، نحو: ((ولكنك لم تنتبه لهذا المجاز البليغ وتهتد له، وحملت الكلام على الحقيقة في صفة الممدوح بهذا التقدير البعيد، فوقعت في الخطأ الشديد))[63] ويحاول–دائما– في شرحه أن يتبنى القراءة المؤولة للصور. ويتراوح تأويليه بين الصواب والإخفاق. فعندما يميل إلى التفصيل في الشرح، يحاول أن يتحرى الإحاطة بالدّلالة، كأن يُحمّل البيت معنيين[64] أو يؤكد تأويله– في كلّ شروحه–بأبيات

لشعراء آخرين[65]، أو ينتبه إلى سياق الألفاظ ليدرك المعاني المحتملة، يقول في هذا: ((ينبغي إذا كانت اللفظة الواحدة محتملة معنيين أو معاني، واستعملت في مكان، أن يتأمل ذاك المكان وتحمل على ما يليق فتخصّ به..))[66]. ويقدّم أمثلة عمّا ذهب إليه، ليوضح كيف أنّ السياق هو الأساس في الدّلالة.

أما في استناده إلى **الإستراتيجية النحوية**، فقد أظهر جرأته العلمية، وبخاصة أنه يعلق على شروح النحوي ابن جني. ويمكننا أن ندرج الصرف في النحو، لنتابع كيف كان الشارح يغلّط هذا العالم في شرح بيت المتنبي:

إذا كحلن عيونا غير مُؤرقةٍ ريّشْن نَبْلا لأصحاب الصّبا صُيُدا

يحاسبه على أنه حسب "مؤْرقة" من أوْرق أو من أرق ولا مصدره "إفعال" وإنما هو: ((آرق: فاعل ومصدره فِعّال، يقال: آرق يؤارق، إرّاقا...))[67]. كما يصحّح له جمع (أعزل) في أنه لا يجمع (معازيل). لأن مفرد (معازيل) هو (معْزال). ويؤكد ما ذهب إليه ببيت للأعشى[68] كما صحّح له النقص في الإعراب عندما استعمل استحيْن (الذي أصله: "استحْييْن"، يقال: استحْيي يَسْتحيِْي فهو مستحيٍ.)[69]. ويستند فيما ذهب إليه إلى القرآن الكريم. ويتابع المسائل النحوية، التي تطرّق إليها ابن جني في شرحه الأبيات باهتمام. ويعثر فيها على عثرات، مثل تقديره حذف المبتدأ والخبر في بيت المتنبي

إلى اليوم ما حطّ الفداءُ سُروجَهُ مذْ الغزوُ سارٍ مسْرجُ الخيْل مُلجمُ

فيحاسبه على تقديره البيت قائلا:((أحسنت– يا نحويّ عصره– بجعلك في جملة مستقلة بنفسها من مبتدأ وخبر تقدير مبتدأ وخبر محذوفين! وما الحاجة إلى تقدير "كائن" مع "الغزو" وهو مع "سارٍ"؟ ولمَ لمْ تجعل "سار" خبرا عن "الغزو"....))[70] يستند ابن معقل في تصحيحاته على علم النحو. والواضح أنه يتحرّك وفق مؤسسة علمي النحو والصرف، مستندا في ذلك إلى شواهد لا تخرج عن الذوق العربي وعن القرآن الكريم وعن الشواهد الشعرية ولغة العرب، وهي أعراف ثابتة عند شراح الشعر.

ولقد قال المتنبي: ولكن تأخذُ الأفْهام منه على قدر القرائح والعلوم.

يبدو أن استناد ابن معقل في شرحه الديوان وتوضيحه لمآخذه مبني، إلى العلوم.

مثلما اتكأ على **الإستراتيجية العروضية**، التي تؤكّد لنا أن الشارح لا يتحرّك بمفرده، وإنما تبنى ردود أفعاله أمام النص وفق مؤسسة الفهم في ذلك العصر، التي بنت طريقة عملها الموحّدة، المعتمدة على مختلف العلوم فعمد إلى إيجاد بحر كلّ بيت قدّمه للشرح. وكأن الوزن الشعري أمر مفروغ منه. فلا يتحرّك الشعر إلاّ داخل عروض الخليل ويتبعه الشارح ((لأنّ ردود أفعاله أمام النص الأدبي تخضع لأسباب نفسية وأخرى اجتماعية وثالثة ثقافية متنوعة تنوعا شديدا...))[71]. عمد الشارح –كثيرا– إلى مصطلحات علم العروض والقافية، كما سبقت الملاحظة صحّح لابن جني بعض اجتهاداته في العروض[72] وصحّح له شرحه لبعض الضرورات الشعرية في ديوان المتنبي، كقوله في البيت:

وجرى على الورق النجيعُ القاني  فكأنـه النّارنْجُ في الأغصانِ.

((ليس في القاني، هاهنا، والواجي اضطرارٌ... فهو قلب تخفيف لا اضطرار...))[73]

نخلص إلى أن كتاب المآخذ اعتمد قراءتين:

**القراءة المفسّرة**، التي ترتكز على المعاني المعجمية و((ليس كلّ مفسّر بقادر على أن يتجاوز ظاهر العبارة إلى المغزى..))[74]، فمهارة ابن جني اللغوية المعجمية لم تغنه وتعطيه إمكانية الغوص في المعاني في بعض الأمثلة، حاسبه على ذلك ابن معقل، لا سيّما أن القدماء ربطوا القراءة اللغوية بظاهر النّصوص. وقد وقع ابن معقل في القراءة نفسها ببعض الشواهد. وبخاصة عندما اعتمد كثيرا على قراءة البيت بمعزل عن النص وعني بالشرح المعجمي فقط.

و**القراءة المؤوّلة** التي تتجاوز ظاهر الكلام، كأن يلح ابن معقل: ((إنّ تأويله وصرف الكلام عن ظاهره هو الواجب))[75]. ويبدو أنّ القدماء على وعي بهذه الفروقات الفاصلة بين القراءة المفسرة والقراءة المؤوّلة.

عندما تسعى القراءة المفسرة إلى بناء نصّ مواز للنّص الأول وتتحرّك في توضيح المعاني، تعمد القراءة المؤوّلة إلى الإسهام في إنتاج الدّلالة المنفلتة فـ ((لكي يؤوّل القارئ

النّص، فإنّه يفك ألغاز مختلف مستوياته...))[76] ويمكننا أن نخلص إلى أنّ الشّروح تمثّل مستويات القراءة في التراث العربي القديم.

**الهوامش:**

(1)– يراجع ابن رشيق القيرواني، العمدة، مطبعة السعادة، ط3، مصر القاهرة، 1963، ص100.

(2)– ابن خلكان، وفيات الأعيان، دار الثقافة، دط، بيروت، دت، 1/ ص121.

(3)– رشيد بنحدو، قراءة في القراءة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 48–49، مركز الإنماء القومي، بيروت، باريس. 1988.

(4)– فاطمة البريكي، قضية التلقي في النقد العربي القديم، دار العالم العربي للنشر والتوزيع، ط1، الإمارات العربية المتحدة دبي، 2006، ص155.

(5)– فولفغانغ إيرز، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)، ترجمة حميد لحمداني والجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس، (دت)، ص12.

(6)– ابن معقل أحمد بن علي الأزدي المهلبي، المآخذ على شُراح ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، ط1، الرياض، 2001، ص55.

(7)– عبد الغني بارة، الهيرمينوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2008، ص131.

(8)– عبد الله محمد الغذامي، المشاكلة والاختلاف، قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه المختلف، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت والدار البيضاء، 1994، ص94.

(9)– ابن المعقل، كتاب المآخذ، ص21.

(10)– المصدر نفسه، ص26.

(11)– المصدر نفسه، ص48.

(12)– عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة، ص451.

(13)– المصدر نفسه، ص64.

(14)– المصدر نفسه، ص64.

(15)– المصدر نفسه، ص42.

(16)– سوزان روبين سليمان وانجي كروسمان، القارئ في النص مقالات في الجمهور والتأويل، ترجمة حسن ناظم وعلى حاكم صالح، دار الكتاب الحديد المتحدة، ط1، بيروت، 2007، ص177.

(17)– يراجع المرجع نفسه، ص183.

(18)– سوزان روبين سليمان وإنجي كروسمان، القارئ في النص، ص191.

(19)– نبيلة إبراهيم، حديث مع ولفجانج ايرز، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الأول، أكتوبر نوفمبر ديسمبر 1984، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص107.

(20)– أومبرتو إيكو، حكايات عن إساءة الفهم، ترجمة ياسر شعبان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة آفاق عالمية، القاهرة، 2006، ص80.

(21)– ابن معقل، المآخذ المقدمة، ص11.

(22)– يراجع ناصر حلاوي، قراءة التفسير والتأويل المتنبي أنموذجا، مقالة في مجلة المتلقي، العدد 5–6، س3، 2000، ص103.

(23)– المرجع نفسه، ص104.

(24)– يراجع ابن المعقل، المآخذ، ص11

(25)–. عبد الحكيم راضي، دراسات في النقد العربي: التاريخ، المصطلح، المنهج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007، ص210.

(26)– يراجع المرجع نفسه، ص231.

(27)– ابن معقل، المآخذ، ص18.

(28)– بيان البكري، تأسيس اللسان في خطاب الراوي–الرائي– النبوة، دار نينوى، دمشق، 2007، ص210.

(29)– محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، بيروت 1994.

(30)– ابن معقل، المآخذ، ص64.

(31)– المرجع السابق، ص245–246.

(32)– أمبرطو ايكو، الأثر المفتوح، ترجمة عبد الرحمان بوعلي، دار الحوار، ط2، دمشق، 2001، ص16.

(33)– المرجع نفسه، ص17.

(34)– عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة، ص371.

(35)– ابن معقل، المآخذ، ص19.

(36)– ابن معقل، المآخذ، ص217.

(37)– المصدر نفسه، ص266.

(38)– المصدر نفسه، ص275.

(39)– المصدر نفسه، ص38.

(40)– يراجع المصدر نفسه، ص39

(41)–. عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة، ص523

(42)–. ابن معقل، المآخذ، ص224.

(43)– فولفانغ ايرز، فعل القراءة، ص56.

(44)– ابن معقل، المآخذ، ص105

(45)–. المصدر نفسه، ص106.

(46)– المصدر نفسه، ص113.

(47)– ابن معقل، المآخذ، ص111.

(48)– المصدر نفسه، ص103.

(49)– المصدر نفسه، ص147.

(50)– يراجع المصدر نفسه، ص109.

(51)– المصدر نفسه، ص162.

(52)– إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب: نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، ط4، بيروت، 1983، ص405.

(53)– ابن معقل، المآخذ، ص303.

(54)– أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1996،ص99.

(55)– ابن معقل، المآخذ، ص29.

(56)– المصدر نفسه، ص273.

(57)– المصدر نفسه، ص32.

(58)– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(59)– ابن معقل، المآخذ، ص115

(60)–. أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، ص64.

(61)– ابن معقل، المآخذ، ص101.

(62)– المصدر السابق، ص99.

(63)– ابن معقل، المآخذ، ص275.

(64)– يراجع المصدر نفسه، ص238.

(65)– يراجع (على سبيل المثال) المصدر نفسه ص160.

(66)– المصدر نفسه، ص161.

(67)– المصدر نفسه، ص186.

(68)– يراجع المصدر نفسه، ص144.

(69)،– المصدر نفسه، ص93.

(70)– ابن معقل، المآخذ، ص275.

(71)– حسن مصطفى سحلول، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص37.

(72)– يراجع ابن معقل، المآخذ، ص157–158.

(73)– المصدر نفسه، ص288.

(74)– ناصر حلاوي، قراءة التفسير والتأويل، مجلة المتلقي، ص96.

(75)– ابن معقل، المآخذ، ص64.

(76)– حسن مصطفى سحلول، نظريات القراءة والتأويل، ص72.